هل لهم من دور في إبراز الإشعاع الثقافي المغربي ؟

باريس – عبد الحكيم محي الدين

أصبح من الملاحظ في مختلف بلدان أوربا الغربية أن هناك تواجدا كثيفا للمغاربة العاملين في الحقل الصحفي القار من مراسلين وصحفيين وتقنيين وغيرهم ممن يشتغلون سواء لفائدة وسائل الإعلام الوطنية المغربية أو لفائدة الأجهزة الإعلامية الأوربية، وتمتد مهامهم إلى مختلف المنابر الإعلامية سواء منها المكتوبة أو السمعية-البصرية. وقد أضحى من باب تحصيل المؤازرة اللائقة بالمجهود الوطني المبذول في مختلف مجالات تدبير الشأن العام أن ينظر بعين الاعتبار إلى هذا الحضور الإعلامي الوطني الكثيف بالخارج نظرا للدور الفعال الذي يمكن أن يقوم به من خلال تغطيته للتظاهرات الثقافية والسياحية والأحداث السياسية التي لها ارتباط وثيق ببلادنا وبمشروعها التنموي العام وبانفتاحها السياسي والديمقراطي. على خلاف ما يقوم به المبعوثون الخواص الذين يوفدون بشكل ظرفي لتغطية الأحداث الطارئة أو الزيارات الرسمية التي تستدعي سفرهم إلى الخارج، نجد أن الصحفيين والمراسلين المستقرين خارج أرض الوطن يقومون بمهام ذات طابع ثابت وقار تتطلب منهم السهر على ضمان تغطية مستمرة للأحداث التي تسترعي انتباه واهتمام الرأي العام الوطني والدولي، وهم مدعوون إلى تسليط الضوء على المبادرات الخلاقة والهادفة إلى خدمة الصالح الوطني العام، وتغطية الأنشطة الرامية إلى مرافقة البرامج التنموية المغربية على درب الإنجاز والتحقيق، والتعريف بالفعاليات الإيجابية من المجتمع المدني المغربي المتواجد خارج أرض الوطن والذي أصبح يتكون في أغلبيته الساحقة من جمعيات يسيرها مغاربة، ومن فعاليات وطنية عاملة في مختلف المجالات الاجتماعية والثقافية والفنية. وهذه الفعاليات المغربية التي تنشط سواء داخل إطار مدني أو جمعوي، أو بشكل تطوعي فردي، نجد في غالب الأحوال أن أنشطتها تظل في حاجة ماسة إلى تغطية صحفية تتولى التعريف بها على نطاق واسع يشمل أرض الوطن وخارجها. وفي ماعدا ذلك، غير خاف أن الصحفيين والمراسلين المغاربة العاملين بالخارج يوجدون في وضعية جد حساسة تتطلب منهم حيزا كبيرا من المرونة والحذر والتريث والتبصر، وهم ملزمون في أغلب الأحيان بالسعي نحو نوع من التشاور مع من يهمهم أمر الشأن العام المغربي خارج أرض الوطن ولاسيما إذا كان الأمر يتعلق بتآزر الرؤى وتكتلها حول القضايا التي لها انعكاس واضح على ما تم عليه الإجماع الوطني كقضية الوحدة الترابية التي تتمثل في المبدإ الثابت المتعلق بسيادة المغرب على أراضيه المحررة، وغيرها من القضايا التي تحظى بإجماع وطني واسع أو تام من لدن مختلف مكونات الأمة.

وما دمنا هنا بصدد إلقاء نظرة عامة على مهمة الصحفيين والمراسلين المغاربة العاملين بالخارج، فإننا نعتقد أن هؤلاء – بحكم كونهم مغاربة قبل أن يكونوا صحفيين عاملين خارج أرض الوطن – يظلون دوما مدعوين إلى إعطاء بالغ الاهتمام إلى كل ما يرمي إلى التعريف بالوجه المشرف للمغرب في الخارج، مع العلم بأنهم يظلون كذلك مطالبين باحترام العمل الدبلوماسي المحض الذي له سلك خاص يتولى رعاية شؤون الدولة المغربية بالخارج، إذ أن هذا الاحترام يعقد من بين حسناته تفادي تداخل الاختصاصات وبالتالي تجنب كل ما من شأنه إعاقة سير الأمور العادية للهيئة الدبلوماسية المغربية العاملة في الخارج. فالعمل الصحفي المغربي سواء منه الممارس داخل أو خارج أرض الوطن يكون محل عناية

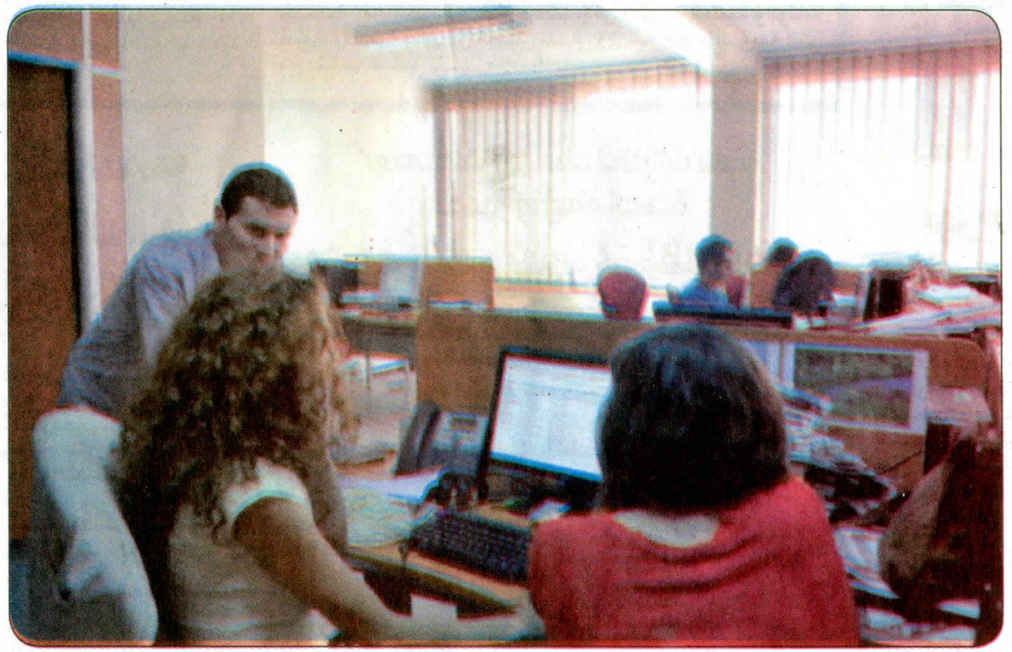

ومحط اعتبار إذا هو تحرى الموضوعية وتوخى الصالح العام الوطني واحترم مقدسات الدولة وحرمة السيادة الوطنية وجعل الإجماع الوطني فوق كل اعتبار.

وبما أن هناك اليوم تواجدا كثيفا للمغاربة العاملين في الحقل الصحفي بالخارج، فأي دور يمكن أن يقوم به هؤلاء للمساهمة في إبراز الإشعاع الثقافي الوطني؟ لا يجرؤ احد منا على الإجابة جازما بشكل إيجابي عن هذا السؤال لأن الشيء الباعث على الحسرة والأسى والأسف هو أن الصحفيين المغاربة بالخارج – شأنهم في ذلك شان كل المثقفين المغاربة المقيمين في أوربا وغيرها من القارات أو الذين يمرون عبرها من حين لآخر في إطار عملهم الفني أو الثقافي – لا يجدون مراكز ثقافية مغربية قائمة بذاتها، مما يجعلهم في كثير من الأحيان يلجأون إلى المراكز الثقافية الأجنبية، العربية وغيرها سواء لتقديم عروض فنية أو للتعرف على إنتاجات فنية أوثقافية أوفكرية، وذلك لكون بلادنا لا تتوفر اليوم بعد على فضاءات ومراكز ثقافية كفيلة بالتعريف بمختلف جوانب الثقافة المغربية في مختلف بلدان العالم وفي العواصم الأوربية على الخصوص، بحيث يظل المثقفون المغاربة – والصحفيون من ضمنهم – عاجزين عن التعريف بجوانب كثيرة من ثقافتنا المغربية الأصيلة والمعاصرة، تاركين إياها عن غير طوع منهم محاطة بظلام دامس في عواصم النور الأوربية وفي دول الشرق والغرب على السواء. فهل كتب على المثقفين المغاربة، صحفيين وكتابا ونقادا وفنانين، أن يحلوا مرارا وتكرارا وعلى طول الزمان ضيوفا على معهد العالم العربي بباريس و معهد "غوته" ببرلين وعلى غيرهما من المعاهد والمراكز الثقافية الأجنبية بسبب الانعدام التام أو شبه الكلي للمراكز والفضاءات الثقافية المغربية بالخارج ؟ إن الجهد الذي يبذله المغرب في العهد الحالي بخصوص تنميته الاقتصادية والبشرية وانفتاحه السياسي والديمقراطي من المفروض أن يأخذ بعين الاعتبار الجانب المتعلق بنشر الإشعاع الثقافي والحضاري لبلادنا في الخارج. والسبيل إلى ذلك يدعو إلى العمل على إنشاء مراكز وفضاءات بكبريات العواصم العالمية يكون من بين اهتماماتها عرض المنتجات الفكرية، الثقافية والفنية لبلادنا، وتعريف الأجانب ومغاربة الخارج بما يتعلق ببلادنا من أحداث وتظاهرات في مختلف الميادين وعلى مختلف المستويات. ولن يتحقق ذلك إلا إذا اشتملت المراكز المطلوب إنشاؤها على مكتبات وخزانات صحفية وقاعات للعروض الفنية التشكيلية والسينمائية والمسرحية وعلى وسائل إعلامية تشمل تقنيات حديثة للإعلام تساعد على مواكبة السيل المتواصل لمختلف الإنتاجات الثقافية الفكرية والفنية التي تعنى بالمغرب وتساهم في مد إشعاعه الثقافي وبلورة صيرورته الحضارية المستمرة.

الكل يعلم أن هناك ملفا من ضمن الملفات التي يشملها البرنامج الحكومي في باب تدبير شؤون الجالية ويتعلق بالمشروع الخاص بإنشاء مراكز ثقافية في بعض كبريات المدن العالمية ومن ضمنها باريس وبرشلونة وبروكسيل وطرابلس ومونتريال، والذي يوازيه برنامج عمل منسق مع الجمعيات العاملة في ميدان التنشيط الثقافي بالخارج، لكنه يظل مشروعا من جملة المشاريع المعلقة التي لا تذكر الحكومة عنها من الأخبار إلا القليل مما يشفي الغليل، ويظل المغاربة في باريس ولندن وغيرهما من العواصم الأوربية دون مركز ثقافي مغربي يقصدونه، كأنهم ليست لهم صلة بالثقافة المغربية، وكأني بهم لا يوجد ضمنهم مثقفون في حاجة إلى فضاءات ثقافية مغربية يعرفون فيها بكتاباتهم الأدبية أو لوحاتهم الفنية أو أفلامهم السينمائية أومختلف منتوجاتهم الثقافية، الفنية والعلمية والأدبية والفكرية.

من المعلوم أن وزن أي بلد كان في عالمنا اليوم يقاس بقوته الإستراتيجية التي تعتبر صمام أمان لسياسته الخارجية كما يقاس بمستوى حضوره الثقافي خارج حدوده بشكل يضمن نشر إشعاعه ويجعل تأثيره ثاقبا ونافذا إلى غيره من بلدان العالم، فمن الضروري أن تسعى بلادنا إلى إنشاء مراكز ثقافية مغربية بالخارج ليقصدها المثقفون والفنانون والسينمائيون والكتاب المغاربة وغيرهم من الأجانب الذين يسعون بشغف إلى التعرف على الإنتاج المغربي والتعريف به في مجالات الفكر والأدب والعلم والفن. لكن، هل هناك إرادة فعلية لدى المسؤولين ببلادنا لكي تقوم هذه الأخيرة بذلك على غرار ما قامت به جل دول العالم بإنشائها لمراكز وفضاءات ثقافية خارج بلدانها حفاظا على الهوية الثقافية والوطنية لجالياتها وسعيا منها إلى نشر إشعاعها الثقافي والفني وتثمين رصيدها الحضاري والفكري والتعريف بمخزونها السياحي جالبة إلى شعوبها ومجتمعاتها من وراء ذلك أكبر فائدة ؟ إن بلادنا إذا عملت على إنشاء مراكز وفضاءات ثقافية مغربية بالخارج فإنها بدون شك سوف تشجع المغاربة العاملين في الحقل الصحفي خارج ارض الوطن على السعي إلى التعريف بالإنتاج الثقافي المغربي عن علم وإدراك ونقل خبره بأمانة إلى الأجانب وإلى أفراد الجالية المغربية بشتى أرجاء العالم. وإذ ذاك يحق القول بأن الإطار الصحفي المغربي القائم الذات بالخارج من واجبه أن يقوم بدوره المتمثل في السعي إلى إبراز الإشعاع الثقافي المغربي، حيث تكون حينئذ وسائل عمل الصحفيين المغاربة بالخارج متوفرة مع توفر مصادر الخبر ومواقعه الملموسة حينما تكون الفضاءات والمراكز الثقافية المغربية بالخارج موجودة وأبوابها مفتوحة. فلا شك أن إنشاء مراكز وفضاءات من هذا القبيل يعتبر وسيلة أخرى من وسائل خدمة المصالح العليا لبلادنا وإدراك غاياتها الإستراتيجية بدءا بتكريس وحدتها الترابية والوطنية، كما أنها سوف تستعمل كوسيلة للتعريف بكل ما من شانه أن يحفز أبناء الجالية المغربية بالخارج على أن يحملوا مشعل آبائهم فيما يخص خدمتهم لوطنهم الأم، وأن يشجعهم على أن يستثمروا فيه ما اكتسبوه في البلدان الأجنبية من خبرة وتجربة ومال وطاقات إبداعية خلاقة، وعلى أن يستمروا في بذل المزيد من الجهود للإسهام في تنميته الاقتصادية والبشرية ومد إشعاعه الثقافي وبلورة صيرورته الحضارية والفكرية المتواصلة على مر الأجيال والسنين .